تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف جورجى زيدان

فرق واضح بين اعادة طبع كتاب وإعادة طبعه مع التعليق عليه ، ذلك لأن اعادة الطبع وحدها انما تعنى أن يجىء الكتاب على الصورة التى كان عليها من قبل . أما اعادة الطبع مع التعليق فانما تعنى شيئا آخر . انها تعنى جهدا يبين فى وضوح وجلاء التطورات التى حدثت فى الموضوعات وفى دراسة المسائل التى يحتويها الكتاب . وليس بخفى أن هذا الجهد يجب أن يبذل من المختصين فى المسائل المتتبعين لسير الحركة الفكرية فيما هو من شأنهم .

والكتاب الذى بين أيدينا ، طبع الطبعة السابقه منذ نصف قرن تقريبا ، وليس وراء ذلك الا القول بأن تغيرا كبيرا قد حدث ، وتطورا عظيما قد جد . أن نصف قرن كفيل بأن يبطل بعض الآراء ، ويبطل بعض النظريات ، ويقلب بعض الحقائق رأسا على عقب . وهذا الذى يجعلنا نتوقع أن يكون التعليق على هذا الكتاب مفيدا كل الفائدة من حيث دلالته على التغييرات الجوهرية التى تمت منذ طبع الكتاب إلى الآن .

والكتات الذى بين أيدينا يؤرخ للثقافة العربية فى شتى الميادين كما يحاول الاشادة بفضل العرب وبيان منزلتهم بين سائر الأمم . وتلك هى الأغراض التى من أجلها قام المؤلف بتأليف هذا الكتاب :

١ — بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقى الاجتماعى والعقلى .

٢ — تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وماكان من تأثير الانقلاباب السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور .

٣ — تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف أدواره : من تكونه ونشوئه إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار .

٤ — تراجم رجال العلم والأدب مع الإشارة إلى المآخذ التى يمكن الرجوع إليها لمن يريد التوسع فى تلك التراجم .

٥ — وصف الكتب التى ظهرت فى العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض ، وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء إليها ووجه الاستفادة منها .

٦ — لانهتم من هذه الكتب إلا بما لايزال باقياً منها ، ويمكن الحصول عليه .. فإذا كان مطبوعاً ذكرنا محل طبعه وسنته ، وإذا كان لم يطبع أشرنا إلى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها — نعنى المكاتب الدولية فى أوربا أو غيرها ، كمكتبة برلين ، ومكتبة المتحف البريطانى فى لندن والمكتبة الأهلية فى باريس ، والمكاتب الدولية فى فينا واكسفورد وليدن وغيرها ، ودار الكتب المصرية فى القاهرة ، ومكاتب أيا صوفيا وكوبرلى وبايزيد أو غيرها فى الآستانة ... حتى إذا أراد أحد الوقوف على شىء من الأصول الخطية ، طلبها فى فهارس تلك المكاتب .

وبالجملة فإن غرضنا الرئيسى أن يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية ، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمته بالنسبة إلى سواه من نوعه .. فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الأمة العربية

وعقولها وتراجم علمائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها .

وليس وراء هذا كله الا القول بأن التعليق على هذا الكتاب يجب أن يكون من أناس عديدين . أناس اختلفت ثقافاتهم وتنوعت وتعددت وأجاد كل ما اختص فيه والا جاءت التعليقات من غير ذى اختصاص فذهبت قيمتها وأصبحت عديمة النفع قليلة الجدوى .

والكتاب الذى بين أيدينا يشير إلى وعد لم ينجز . وعد قطعه المؤلف على نفسه ولم يستطع القيام به ، وذلك هو قوله : (ومتى تم الكتاب ألحقناه بفهرس أبجدى للأعلام والموضوعات ، فيصير معجما للعلم والعلماء والأدب والأدباء والشعراء ، ولما جادت به قرائحهم من التصانيف أو المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعة أو وجوده) . وليس وراء هذا الا القول بأن التعليق يجب أن ينجز هذا الوعد . ويجب أن يتمم هذا النقص وأن يسد هذا الفراغ .

هذه الخطة المنهجية ، التى ذكرنا ، لم يقع منها شىء ، فقد عهد الناشر إلى فرد واحد بالتعليق على الكتاب ، فرد لايستطيع أحد أن يدعى له أنه القادر على التعليق على الحركة الفقهية والحركة الكلامية والحركة العلمية الخالصة كالطب والفلك والرياضة وحركة الثقافة النسوية كالتدبير المنزلى والطهى وما أشبه . أن الناشر قد أخطأ حين عهد إلى فرد واحد ، وان المعلق قد أخطأ حين قبل أن يقوم وحده بهذا التعليق .

ثم أن هذا الفهرست الأبجدى الذى وعد به المؤلف لم يقم المعلق بانجازه ولو فعل لأفاد واستفاد . لو فعل لأفاد القارىء كثيرا من حيث توفير الجهد فى الرجوع إلى المصادر . وفى الرجوع إلى تأريخ الرجال

ووصف الكتب والمخطوطات . ولو فعل لاستفاد هو من حيث توفية هذه التعليقات حقها . أن وضعها فى الهامش من الصفحات جعلها قصيرة وغير دالة .

ويبقى بعد ذلك أن نقول أن فى هذه التعليقات جهدا غير منكور . جهداً يقف عند حدود التعريف ببعض الكتب والاشارة إلى بعض الكتب والاشارة إلى بعض المصادر فى تأريخ الرجال أما التطور الذى جد فى الموضاعات وفى دراسة المسائل التى احتواها الكتاب فقد كان حظه من التعليقات قليلا .

محمد احمد خلف الله